الحمامات الغربية بالقيصرية"شرشال" نموذجاً

دراسة معمارية أثرية

أ . محمد شيباني

Abdrzak.zizou79@gmail.com

المركز الجامعي مرسلي عبد الله

تيبازة

ملخص "

عرفت المدينة القيصرية في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي اوج ازدهاره اين عرفت منشات عدة تضاهي تلك التي في روما ، وكانت الحمامات الغربية للقيصرية من بين اهم واكبر الحمامات في شمال افريقيا حيث جسدت فيه نظرية التناظر التي تسهل عملية التنقل بين وحدات الحمام التى تعد بمثابة مركب يجد فيه الزائر كل وسائل الرفاهية.

والمعلم قائم الى يومنا هذا رغم ان الباحث فيليب لوفوا حاول ان يدرسه اين تمكن بوضع مخطط عام له ، لكن هناك عناصر كثير لا تزال غامضة (كنظام التسخين وشبكة المياه). و من خلال هذا الموضوع سنحاول عرض المراحل التاريخية لهذا النوع من النماذج المعمارية في الجزائر .

الكلمات المفتاحية : حمامات ، عناصر معمارية ، فترة رومانية ، شرشال ، ابحاث

.

I knew Caesarean City in the second half of the second century AD, the height of its prosperity Wayne knew installations several comparable to those in Rome, and the Western bathrooms for Caesarean section among the most important and the largest spa in North Africa where it embodied the symmetry theory that facilitate movement between units bathroom which serves as a composite process visiting find where all the luxuries. And teacher based to this day despite the fact that the researcher Philip

tried to Ovoa taught by Wayne managed to put in a planned, but there are many elements that remain unclear (heating and water system) system.

مقدمة :

الحضارة الرومانية أشهر حضارات العالم القديم و التي تميزت بتنوع النتاج المعماري بشكل واضح. كانت العمارة الرومانية متعددة التوجهات الفكرية ، مما أدى إلى اختلافها عن مجاورتها من الحضارات و بالتالي انعكس على نتاجها المعماري فكان متنوع التراكيب ومختلف في اهدافه و دوافعه عن توجهات العمائر المعاصرة للعمارة الرومانية.

لذا تميزت العمارة الرومانية بتنوع وتشعب الأساليب التطبيقية للمفاهيم المعمارية المختلفة، مما كان له الأثر الفعال في تاريخ العمارة كنتاج أنساني متواصل، فبرزت أهمية الدارسة البحثية

للعمارة الرومانية .

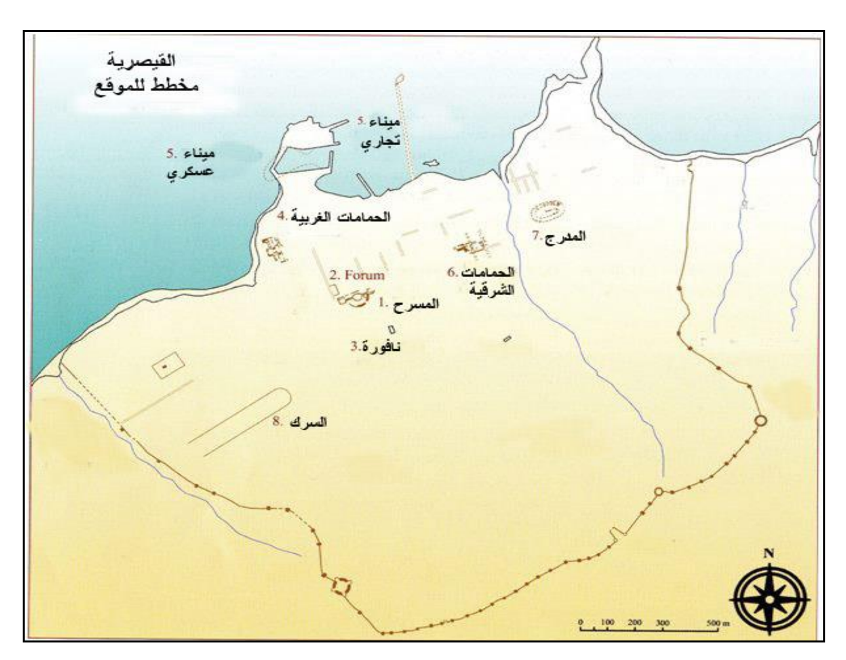
لقد اعتمدت الحمامات في المدينة الرومانية كأحد أهم المعالم التي يتردد عليها أهل المدينة ، نظرا لتوفرها على كل مظاهر الراحة ، ومكان للتجمع ومناقشة القضايا اليومية للفرد و الجماعة. ونظرا لأهميتها البالغة فقد زودت الحمامات بكل عناصر الرفاهية سواء في جانب المواد الإنشائية او البنائية،أو من حيث التخطيط المحكم لكي يلعب الدور الذي يناط به و خاصة وان هذه المعالم بقيت إلى يومنا هذا ضمن المعالم التي تشير الى الحضارة الرومانية في شمال إفريقيا ، و التي تحمل عدة أسرار تستهوي الأثرين للتعرف على هذه العناصر المعمارية المتناغمة المشكلة لها ، كما تستهوي الدراسة لغرض الحفاظ و إمكانية الترميم إذا ما استطعنا فهمها و الكشف عن كل أسرار ها سواء من خلال البحث في المصادر الأدبية أو الدراسة الوصفية الميدانية .

فمدينة القيصرية (شرشال) تعد من بين أهم المدن القديمة الغنية بالآثار الرومانية في شمال إفريقيا ، لاسيما الحمامات الغربية هي من بين المعالم التي مازالت قائمة بالمدينة

والتي يتوافد عليها الزوار بكثرة. لهذا يحتاج هذا الأخير الى الاهتمام بهو إعادة النظر فيه من الجانب المعماري.

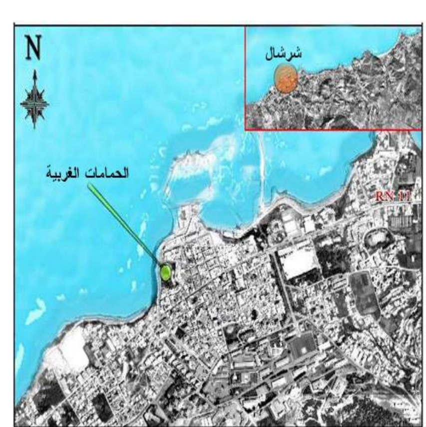
1- الموقع الجغرافي:

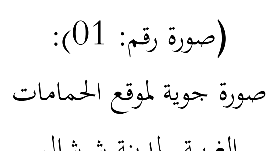
تقع مدينة شرشال على ساحل البحر الأبيض المتوسط،غرب الجزائر العاصمة بحوالي 90 كلم ،تحدها من الجنوب سلسلة من التلال ، التي تتخللها غابات كثيرة واما من الناحية الغربية فنجد راس تنس و شمالا فيحدها البحر الأبيض المتوسط الذي يوفر لها المناخ المعتدل ومن الناحية الشرقية نجد جبل "شنوة" والذي يعتبر حاجزا امامها يحميها من الرياح العاتية الشرقية.كما تتمتع المدينة بتوفر الموارد الطبيعية ومواد البناء كالحجر الكلسي،الجرانيت والرخام و الحديد . (**خريطة رقم : 01**) (**صورة رقم: 01**) .



الخريطة رقم 1: مخطط القيصرية (شرشال)، عن:

JEN(M.B.R) ,CLAUD(S),SITE ET MONUMENTS ANTIQUE DE




(صورة رقم: 01):
صورة جوية لموقع الحمامات

كما تشير الدراسة طبوغرافية أن المدينة تتكون من قسمين:

- **قسم منخفض**: عبارة عن شريط عريض يمثل السهول الساحلية.
- **قسم علوي**: **مرتفع** متكون من قمم الجبال التي تتخللها وديان صغيرة كما تتوسطها منطقة ذات منحدرات شديدة تنبسط عليها المدينة(1) ؛ كما نجد الجزيرة التي كانت هدف كل الوافدين إلى شرشال وهي جزيرة " المنارة" إذ تعد بمثابة حاجز ضد الرياح الشمالية الغربية وهي عبارة عن ساحل صخرة يتكون من جروف صغيرة.

2- الإطار التاريخي:

2-1-الفترة البونية :استغل البحارة الفينيقيون موقع شرشال الإستراتيجي لإنشاء مرسى لهم وراء جزيرة صغيرة قريبة من اليابس أين توجد المنارة اليوم (2)؛وقد أطلق عليها اسم "ايول" في القرن الرابع قبل الميلاد من طرف الرحالة سيلاكس(SCYLAX) الذي يعتقد أنها تسمية تعود لإله فينيقي (3). خلال فترة المماليك كانت المدينة تحت

حكم سيفاكس ملك الماسيسيل من 213 إلى 203 قبل الميلاد و بعد أن قتله ماسينيسا ملك مملكة الماسيل ضمت إليه شرشال ولكن في سنة 88 ق.م انقسمت المملكة إلى الشرقية و الغربية فكانت شرشال تابعة للملكة الشرقية .بعد وفاة ماسينيسا أصبحت المدينة تحت حكم ابنه ميكيبسا إلى غاية 118 قبل الميلاد.و في 105 قبل الميلاد بعد هزيمة يوغرطا عادت السلطة للملك "ڤودا"(105-88) قبل الميلاد والذي كانت شرشال تحت حكمه.كما أصبحت عاصمة في عهد "بوخوس الثاني " المتوفى سنة 33 قبل الميلاد؛ وفي نفس هذه الفترة ظهرت مملكة موريتانيا.[4]

2-2-الفترة الرومانية : بعد موت الملك بوخوس دون ان يترك وريثا للعرش اتبعت مباشرة لروما؛ لوليين رومانيين عينا مؤقتا ل مدة ثماني سنوات من طرف الملك قيصر وبعدها صارت شرشال تحت حكم الملك يوبا الثاني سنة 25 قبل الميلاد ابن يوبا الأول الملك النوميدي والذي انتحر سنة 46 قبل الميلاد؛ بعد انهزامه في معركة تابسوس أمام الإمبراطور يوليوس قيصر، وبهذا أصبحت شرشال عاصمة موريتانيا تحت قيادة يوبا الثاني وزوجته سيليني ابنة كليوبترا المصرية والتي أنجبت له بطليموس وتوفيت في سنة 05 قبل الميلاد.

حكم يوبا الثاني مدة 50سنة تقريبا والذي استعمل اللغة اللاتينية،وعمل على تمجيد أمجاد الرومان وأباطرتهم على العملات التي كان يضربها، وهو الذي أطلق على شرشال القيصرية تكريما للإمبراطور قيصر.قد شهدت القيصرية في وقته قفزة للمباني الفخمة المزينة بالتماثيل المختلفة كما ربط مملكته بعلاقات ودية مع دول الجوار بفضل التبادل التجاري بينهما.

وبعد موته سنة 23 قبل الميلاد خلفه ابنه بطليموس الذي لم يكن يشبه اباه في شيء، وقتل سنة 40م من طرف كاليجولا[5].وفي سنة 41ميلادي؛ ضمت المملكة الموريتانية إلى الإمبراطورية الرومانية، لتقسم بعد ذلك الى مقاطعتين: موريتانيا الطنجية في الغرب وموريتانيا القيصرية في الشرق..

وهكذا صارت القيصرية مستعمرة رومانية يحكمها مفوض الإمبراطور، وسميت بالمستعمرة الكلودية القيصرية ، نسبة الى الحاكم "كلوديوس " ما بين سنة(41 الى 54) ميلادي. وقد اهتم بالزراعة و الفلاحة و كذلك اهتم بالمدينة و أيضا بالجانب العسكري ، فكانت شرشال العاصمة الإدارية ، و مركزا عسكريا تحت إشراف وكيل الامبراطور.عرفت المدينة اوج ازدهارها في نهاية القرن الثاني م وبداية القرن الثالث م أي فترة حكم سيبتم سيفيرس (211/139) ميلادي.اين اشتهرت ببناء القصور و المنازل الفخمة المزينة بالفسيفساء و الرسومات ،كما عرفت نحت التماثيل خاصة منها تماثيل الآلهة مثل :

-"ساتورون و الأبطال " بالإضافة الى النقش الغائر الذي يزين ينابيع المياه و أروقة الحمامات. [6]

وبحلول القرن الرابع ميلادي عرفت المدينة إنتشار المسيحية والتي أدت إلى صراعات واضطرابات بسبب الرفض للدين الجديد، في حوالي 372ميلادي حدثت ثورة "فرموس" [7] ،والتي أدت الى تدمير كبير بالمدينة.

3- الدراسة المعمارية.

3-1- تعريف الحمامات الرومانية:

تشكل الحمامات في المدينة الرومانية العنصر المعماري المركزي لحياة السكان ، كونها المكان الذي يتجاوز الاستحمام الى ممارسة الرياضة والخوض في المسائل الإدارية والسياسية ، بحيث يقضي فيها الفرد وقتا طويلا،مع العلم أن الفترة الصباحية مخصص للنساء و المسائية للرجال.تتراوح مساحتها ما بين 1000 – 3000 م^2؛ هذا بالنسبة للحمامات العمومية،أما الحمامات الخاصة المتواجدة بالمنازل الفردية فهي اقل مساحة .

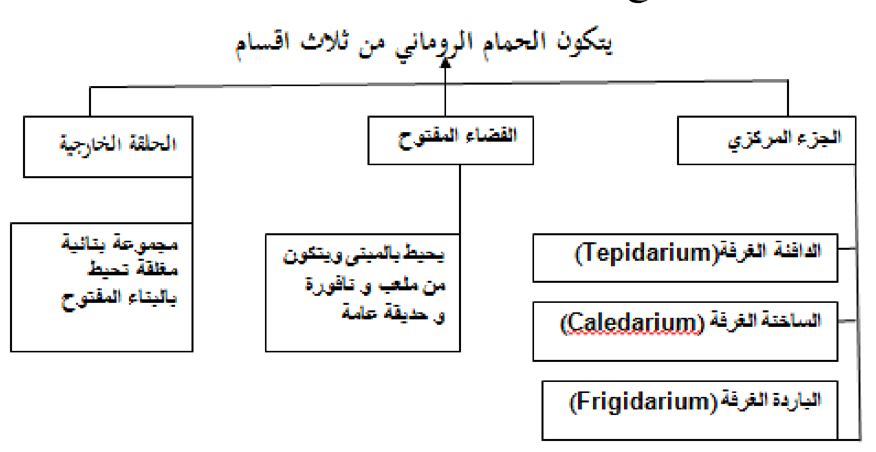
إن ظهور فكرة إنشاء وتشييد معالم للاغتسال تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد[8] ، فيعد الإغريق السباقين باستحداث آلهة للصحة والعافية كما هو الحال بالنسبة لـ "اسكولايوس و هيجيا " ولكن الممارسة الأولى لم تكن داخل مبنى مهيأ

خصيصا لذلك ، اذ كانت في ينابيع المياه والأنهار.اما الانتشار الواسع و الحقيقي كبناء يضم مختلف الضروريات التي يحتاجها المستحم كان ابتداء من العصر الإمبراطوري.

و إبتداءا من النصف الأول من القرن الثاني الميلادي انتشرت حمامات لا تفوق مساحتها 1000م اذ زودت المراكز العسكرية الرومانية على غرار" جميلة وَ سور جواب وشمتو و لومباز"....

وفي خلال النصف الثاني من القرن الثاني ظهرت الحمامات ذات النظام التناظري، والمتعدد الغرف في كل المدن الرومانية.

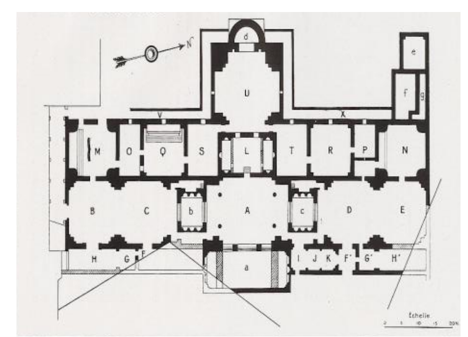
لقد تشكلت هذه الحمامات من غرف الاستحمام وهي (الباردة ، الدافئة ،الساخنة) و فضاءات أخرى وكانت تفتح من منتصف النهار الى المساء ويدق الجرس إعلانا عن الدخول والخروج.

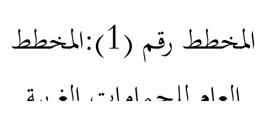


كما تعدُّا لحمامات الغربية بالقيصرية أكبر الحمامات الثلاثة في المدينة شرشال ، تقع غرب الفروم بمساحة قدرها 8050 م^2 بطول 115 متر وعرض 70 م (**مخطط رقم: 01**) ، كما أخذت هذه الحمامات تسمية" قصر السلطان " وهكذا يظهر من الاسم الفخامة [(9)] التي كانت عليه ، وقد صنفت ضمن الحمامات العامة والتي أرخت بالقرن الثاني الميلادي. وفي وقتنا الحالي أخفى جزءاً مهما منها بسبب البنايات الحديثة [(10)] ،

ورغم ذلك فقد تميز المخطط العام بالتناظر استجابة لتسهيل التنقل داخل المعلم ومختلف القاعات [11].إندثر سقف الحمامات هذا ما أدى إلى تدهور الجدران لكن بقيت بعض مخلفات من الرخام احتمال وجود زخارف جصية او مطلية بالدهان ، كما زخرفت الأرضيات بالفسيفساء.

وتبقى الحفريات التي قام بها ' فيكتور ويل ' ما بين 1886 ميلادي و1889 ميلادي، غير كافية للكشف عن كل عناصر الحمامات رغم انه قام بمسح أثرى لجميع القطع الظاهرة قبل اختفائها تحت المباني الحديثة.




المخطط رقم (1):المخطط العام للحمامات الغربية

3-1-1- الغرف:

قبل التعرض الى وصف الغرف المختلفة تجدر الإشارة الى المدخل الرئيسي لهذا المعلم الذي كان يقع في الجهة الشرقية وأخفته المباني الحالية وقد ذكر" **قزال**" بأنه كان مكونا من أعمدة من الجرانيت الأخضر بارتفاع ثمانية أمتار تحمل تيجان ايونية من الرخام الأبيض يتقدم هذا الرواق سلم يتكون من عدة أدراج تؤدي الى أروقة مبلطة بالفسيفساء [12].

3-1-2- القاعة الباردة :{أ} (FRIGIDARIUM).

توجد هذه القاعة غالبا في موضع وسطي داخل الحمام بهدف خلق مجال للترويح قبل اخذ حمام بارد أو بعد الإستحمام الدافئ أو الساخن أو قبل الخروج من المبنى حتى لا يكون هناك ضرر يمس صحة المستحم.ويذكر (**فيتروفيوس**) بان هذه القاعة تلعب دور قاعة نزع الملابس في الحمامات التي لا تحتوي على قاعات لنزع الملابس [13].

هذه القاعة شكل المستطيل (14,85×24,80 م^2 ؛ وتحتوي على مسبح او أكثر يملأ بالماء البارد تظهر عليه آثار الفخامة حسب القطع المتبقية من الرخام ذو اللون المائل للبني و المتموضع في شكل مستطيل و مربع يغطي أرضية هذه القاعة بمقاسات (0,30 × 0,25 م^2) وَ(0,25×0,25 م^2)؛ كما هو موضح في (**الصورة رقم 02**:).



(الصورة رقم 02): صورة القاعة الباردة .

إنَّ جدران هذه القاعة كانت مكسوة بصفائح من الرخام الأبيض بارتفاع 1 م على الأرض حسب مؤشرات دالة في الجدران.

كما يوجد بها أربعة أجزاء لأعمدة ضخمة من الجرانيت بقطر واحد متر كما هو موضح في (**الصورة رقم 02**).

كما يذكر مارسيال دويل (MARCEL DOUEL) إنَّ هذه الأعمدة كانت ترتكز على قواعد و تحمل عقود (14). و إنَّ هذه القاعة بها مسبح كبير سميناه { أَ } ذو شكل مستطيل (22.85 ×8.80) م^2 مبلط بفسيفساء خشنة الملمس ملبسة بالرخام يولج إليه عبر سلم مكون أربعة أدراج نزولا من الجهة الغربية بارتفاع كل درجة السلم بين 40 و45 سنتم ومقسمة الى ثلاثة أجزاء بحجارة منحوتة بحيث كان الجزء الأوسط أكبر من الجانبين.

و يذكر **ڤزال** : إنَّ هذا المسيح به مشكوات تحمل صور للنساء مرتديات البسة ذات طبقات(ثنيات) ، و تماثيل الالهة (15)، ولكنها اليوم مفقودة.

وما يمكن استنتاجه أن هذان القسمان الجانبيان من المسبح ما هما إلا امتداد له ، في حين الجهة الجنوبية تبقى غير ظاهرة نظرا لاجتياح المباني الحديثة. كما ويبقى القسم الشمالي للمسبح الأكثر وضوحا بطول (8,80 م) وعرض (2,65م) وبسمك الجدران الفاصل بينه وبين {اَ } بمتر واحد.

بالإضافة الى هذا فقد احتوت القاعة الباردة أيضا على حوضين صغيرين رمزا لهما {بَ . وَ .حَ } شكلهما مربع (6,8×6,8م) مبلطين بفسيفساء خشنة تشبه فسيفساء المسبح الكبير {ا }، كما ننزل الى هذين الحوضين عبر سلم مكون من ثلاثة ادراج من ناحية القاعة { اَ} او من المنتزهات.

وقد ذكر ڤزال إنَّ هذين الحوضين كان يعلوهما تماثيل مماثلة لتلك التي وجدت في المسرح "كما تم العثور بهذا المسبح على قنوات مياه (16) يصعب وصفهما (**الصورة رقم 03**).





3-1-3- القاعة الدافئة (م): (TEPIDARIUM).

تتميز هذه القاعة بحرارتها المعتدلة اللآتية عبر التجاويف الموجودة في الجدران ؛ وهذا الجزء من الحمامات يلعب دور المحافظة على الجسم من التغير المفاجئ لدرجة الحرارة من القسم الساخن وما يقابلها من قسمها البارد وهكذا تأخذ موضعها بين القاعتين الباردة الساخنة. وقد أطلق عليها بلينوس(PLINE)وغاليان (GALIEN)القاعة الوسطى للحمامات (17) .«CELLA MEDIA».

هذه القاعة تقع مباشرة خلف القاعة الباردة(اَ)؛ ذات تخطيط مستطيل الشكل (15.660×7.80 م²) مدخلها عبارة عن سلم ذي ثلاثة أدراج نزولا في الجهة الشرقية (**الصورة رقم:04**).



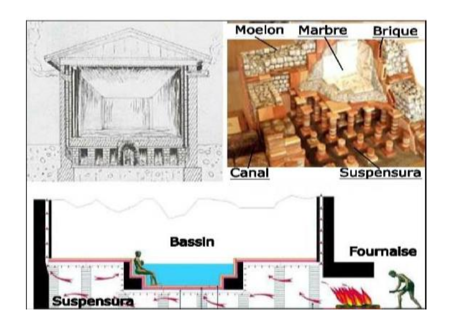


في الحقيقة هذه القاعة عبارة عن ثلاث غرف تتساوى في المساحة مع الغرفتين الجانبيتين للغرفة الوسطى بمساحة قدرها (6.89×3.60 م²) لكل واحدة.
كما تحتوي هاتان الغرفتان الجانبيتان على مشكاة اقل ما يقال عنها انها كبيرة ، و أرضية الغرفة الشمالية غير مبلطة مما يسمح بملاحظة القبو المشكل من نظام للهيبوكست (Hypocauste).

كما يلاحظ تواجد ثقوب على الجدران لتثبيت الصقالة اثناء البناء.

3-1- 4- القاعات (ش، ر، ق، ص، ف ع) بالتناظر:

تتوزع على يمين ويسار القاعة الدافئة التي تشكل الشريان الرئيسي لعميلة تزويد الحمام بالحرارة وفيها الهيبوكست(Hypocauste) ، وهي أيضا تحتوي على قاعات التدليك كونها ساخنة وكذا التمارين الرياضية : (**المخطط العام للحمامات رقم: 01 .02**)



مخطط رقم : 02

- **القاعة ف**: مستطيلة الشكل تقدر مساحتها ب (5.80×7.20 م^2)، ومساحة حيزها يقدر بـ(3.42×5.80م^2).
- **القاعة ق**: مربعة الشكل مساحتها (11.85 X11.85 م^2) وتفصلها عن القاعة "ف" فتحة عرضها (0.82م). كما تزينها مشكاة تتصل بالرواق {د } بها ثلاثة أقباب يصل عرضها إلى (0.9م).

القاعة ش: مستطيلة الشكل مساحتها (8.23×11.85 م^2) و تربطها فتحة عرضها (1.83م) بالقاعة {ق}. كما بلغ سمك جدران هذه القاعات 1 م، مع ملاحظة أثار تبليطها بملاط عمودي ، أما الأرضية فهي مندثرة.

أما الغرف المتناظرة {ر. و .ص. و .ع}، تبقى حسب التناظر لها نفس الأوصاف و الإحداثيات.

- **القاعتان {س. و .ن}**: تقعان على أطراف القاعات (ف،ق،ش،ر،ص، ع)وهما أيضا دافئتان وبحكم موقعهما فهما مخصصتان للدخول والخروج [18].

كما حوت القاعة { س} الهيبوكست في الجزء الجنوبي لها وهي مستطيلة مساحتها (13,85×11,85 م^2) مبلطة بالفسيفساء وهي قاعة على رأس القاعات (ف،ق،ش)وقد زودت هذه القاعة بالدعامات في ثلاثة زوايا ركنية للجدران بسمك (2,80 م) لكل واحدة منها،ويخلو الجزء الرابع ، اما الجداران الشمالي والغربي غير موجودان.

تتصل هذه القاعة بالقاعتين { د. و .ه} عبر فتحة عرضها (2م)، كما نلاحظ درجا يصعد بواسطته الى حيز ضيق بعرض (1,8م) ويظن انهما تابعا لهذه القاعة، ومن خلال هذا الحيز يؤدي الى مكان عديم الأرضية مفصول عن القاعة {ف } بجدار سمكه واحد متر ربما يكون هذا الحيز تابعا للقاعة {فَ}بالنظر الى التناظر مع القاعة {ع }(**المخطط رقم 01**).

3-1-5-القاعة الساخنة {ت } (CALDARIUM).

وهي القاعة التي تكون فيها درجة الحرارة عالية ومزودة بأحواض تدعى(LABRUM)تسمح للمستحمين بأخذ حمام ساخن ؛ وهي واسعة في بعض الحمامات وفي البعض الاخر قد تكون ملتصقة بالجدران [19].(ALVEUS).

هذه القاعة المستطيلة الشكل تمتاز بمساحتها الواسعة (18,75× 15 م^2) يصل معدل سمك جدرانها (1,20م) (**الصورة رقم: 05**)، وهي تقع خارجيا أي ؛ منعزلةً حسب المخطط العام للحمام ؛ نلاحظ احتوائها على (HYPOCAUSTE) مع قنوات للتسخين.





الصورة رقم : الغرفة

وهي تطل على القاعات { ش. وَ . ر . وَ . م} بواسطة بابين او فتحتين بعرض 1 م، لكل واحدة منهما (الصورة رقم 05)؛ كما تطل أيضا على الرواقين { ذ . وَ . ت}، اما العقد الذي ذكره ڤزال"الذي كان يغطي القاعة الحارة ويستند على دعائم غير موجودة اليوم. [20]

كما نلاحظ وجود آثار وبقايا الرخام مما يوحي بأن الأرضية كانت مبلطة بالرخام. ضف الى ذلك أنَّ الممرات كانت متواجدة من الجهتين اليسر واليمنى كطريق للوصول الى المواقد "الهيبوكست "، وهي تقع غرب القاعة {ش } مع تواجد بهو في الجهة الشرقية

بطول 5,25 م، اما الفتحة التي تؤدي الى خارج الحمام فتبلغ 2,80م، كما تسمح فتحة بعرض 3,4م بالدخول الى المتنزهات من البهو.

اما الجهة الغربية لهذه القاعة فتنتهي بحنية نصف دائرية، كانت عبارة عن حوض الحمام الساخن قطره 3,20م وسمك الجدار 1,70م.

3-1- 6- المتنزهات{دَ. هَ . ب . جَ }:

تقع على يمين ويسار الحوضين({بَ . جَ} بالتساوي،وهي تشكل مساحة شاسعة جدًا مبلطة بالفسيفساء مهيئة لتوفير الراحة للمستحمين، وهي المكان المناسب لمناقشة الأحداث اليومية السياسية والاجتماعية والدينية. و اما من الناحية العمرانية فهي تشكل مساحة تقدر بـ 13.8×63.4 م^2، وبجدار يصل سمكه 1م. كما تتكون هذه المتنزهات من غرف متصلة يبعضها البعض كما هو موضح في الغرفتين {د .هـ} بمساحة مستطيلة 31.80 ×13.80 م^2 مجتمعتان.

اما مساحة {بَ . جَ} فهي نفس المساحة بالنظر الى التناظر كما يظهر في المخطط العام للحمام (**الصورة رقم 06**).





الصورة رقم: 06

3-1-7- قنوات نقل المياه:

ان المتأمل لضخامة هذا المعلم ؛ حتما سيتساءل عن المياه التي هي العنصر الحيوي في هذه الحمامات نظرا لكبرها وتعدد الأحواض بها.

رغم ان القنوات غير ظاهره في الحمامات الغربية بشرشال إلا أنها تزود من الخزانات الواقعة في الجهة الشرقية ؛ اما سيرورة المياه عبر هذه القنوات غير ظاهره ويرجع أن نقل الماء يتم عن طريق أحد الينابيع الى الخزانات عبر قناة مغطاة تحت الأرض وصولا الى الحمام ومنها الى القاعات والأحواض عبر قنوات ثانوية كما هو موضح في الجدار الخلفي للحوض وفي الجهة الغربية.

يذكر الباحث ڤزال (أن هناك قنوات تتجمع في قناة واحدة والتي تصب في البحر). [21]

وهي قنوات توجد تحت القاعات {اَ. هَ. مِ. شِ. كَ} مبنية تلعب دور تصريف المياه المتواجدة في الجهة الغربية ويسار ويمين القاعة الحارة {تَ}(**الصورة رقم07**).

هذه القنوات مكونة من الشظايا مغموسة في الملاط بكثافة شديدة (مركز)؛ كما لبست الجدران الداخلية الملامسة للمياه بطبقة من الاسمنت.



الصورة رقم :07

4- مواد و تقنيات البناء .

4-1- مواد البناء : إن فخامة هذا المعلم سواء من ناحية الكبر او الرفاهية جسدتها تلك المواد اللإنشائية المتوفرة آنذاك ، وقد أبدع الفنان الروماني في استغلال كل تلك المواد المتاحة ، سواءٌ الطبيعية منها أو المصنعة في المصانع الخاصة.

و من ثم فإن الزائر لهذا المعلم حتمًا سينتابه الفضول و التساؤل عندما يرى المواد المتنوعة المستعملة في بناء وتشييد هذه الصرح الكبير ، و على سبيل المثال نذكر منها ما يلي :

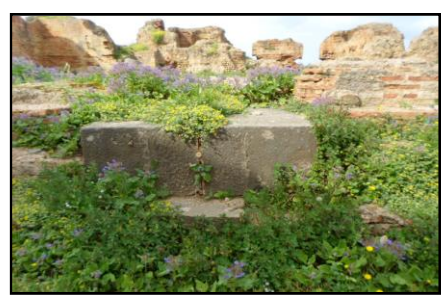
4-1-1- الحجارة: استعمل الرومان شتى أنواع الحجارة والصخور،كمادة أولية في تشييد مبانيهم الضخمة التي بقيت الى اليوم هذا شاهدةً على حضارتهم في كل المدن التي شيدوها اتخذوها حواضراً لهم ،و لم تكن فقط المادة الأساسية في البناء فحسب ،بل استغلت ايضًا في زخرفة جدران المباني خاصة الخارجية ، و نظرًا لما تتميز به من الصلابة وكذا التنوع في الألوان وهي:

- **الحجارة الطبيعية** : وهي الأقل تكلفة والمتاحة ،كما أنها سهلة الجلب من المناطق المجاورة أو من بقايا الأبنية القديمة أو التي استعملت على طبيعتها دون تدخل يد الإنسان فيها(صورة رقم 08).



صورة رقم:08
صورة الحجارة الطبيعية

▪ **الحجارة المنحوتة** : نلاحظ وجود حجارة كبيرة منحوتة وظفت ضمن تقنية النظام الكبير لتظهر في مظهر متجانس جميل، وهي في شكل مربعات متساوية أو مستطيلات بمقاسات (0,57×0,95 الى 1,25 م) وهي التي استعملت في بناء الأسس والبلاطات وكانت تجلب من المحاجر المجاورة للقيصرية (محاجر الغربية لمنطقة سيدي غيلاس) أو محاجر الشرقية (شنوة – كوالي). (صورة رقم 09).

الصورة رقم : 09

– **الحجارة الكلسية:** وهي الحجارة الرسوبية المنشأ ؛ يدخل في تكوينها الكيميائي كربونات الكالسيوم.

وجدت في الحمامات الغربية على أشكال مستطيلة ومربعة ؛ شبه المنحرف بمقاسات متعددة منها: (0,40×0,50 م^2)، وكذا بألوان متعددة نظرًا لوجود الدولوميت ؛ الكوارتز ؛ المعادن الغضارية بالإضافة الى الفحم الرمادي [22].

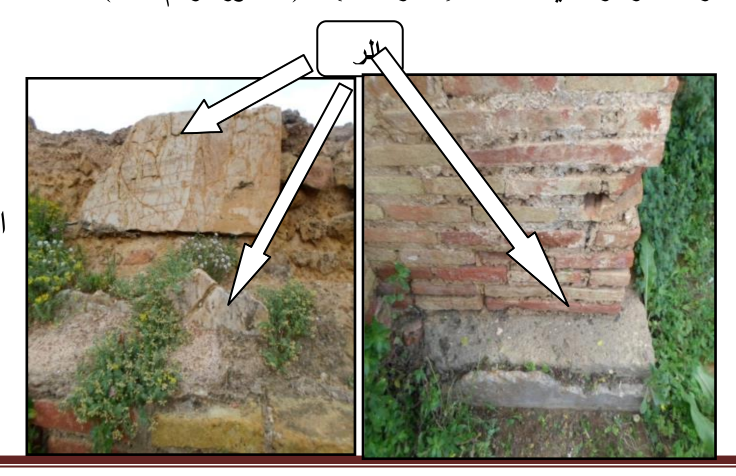
– **–الدبش:** وهي حجارة صغيرة الحجم استخدمت مع الملاط في بناء الجدران ؛ وكذا الأرضيات وتكون موضوعة إما بانتظام او عشوائية ؛ والملاحظ أنها استخدمت بكثرة وعلى أشكال متعددة ؛ ليس لها شكل معين. (صورة رقم 10)



الصورة رقم: 10
صورة الدبش

▪ **الرخام:** يعتبر الرخام من الصخور المتحولة ؛ تتشكل من الحجر الجيري بحيث يدخل فيه عناصر كلسية متمثلة في كربونات الكالسيوم ؛ والسولميت . و هي كربونات طبيعية تتكون بتزاوج الكلس والمغنيزيوم ؛ وهو بذلك يكون أكثر كثافة وصلابة ويأخذ اللون الأبيض الناصع والوردي الأصفر وكذا الأحمر.

إستخدمه الرومان خاصة في كسوة جدران قاعات الحمامات ؛ وهذا ما تبين من خلال الثقوب الموجودة في القاعة {أ. وَ .بَ}. (**الصورة رقم 11**).



الصورة رقم: 11
صورة الرخام

4-1-2- الاجر:

▪ **المواد الطينية:** هي عبارة عن تفتت الفلسدات الى الجرانيت ؛ تحتوي أساسًا على سلكيات الألمنيوم المموه على شكل جزيئات صغيرة.

*** أنواع الطين:**

- **الطين الغير محروق:** يستعمل في واجهات الجدران.

- **الطين الممزوج بالقش او الملاط** : وهو خليط مكون من مختلف المواد كالرمل و الكلس و بقايا مواد بنائية مسحوقة مثل الرخام و الفخار ؛ مع تدعيمه بالجير ليكتسب صلابة بإضافة الماء وهو بذلك يعمل كرابطة لربط العناصر البنائية وتماسكها. (**الصورة رقم 12**).



الصورة رقم : 12
صورة الملاط

كما يستعمل أيضا كمادة للطلاء المائي في الحمامات لأنه يتميز بعدم النفاذية للماء (غير مسامي) كما يوجد أيضا ملاط خاص بتلبيس جدران القاعات الساخنة يسمى الذي يعمل على الحفاظ على درجة في القاعة {جِ}.

-الطين المحروق : وهي تتمثل في حرق الطينة في أفران معدة لذلك مصنوعة من الأجر بها فتحات تسمح بمرور الحرارة.

يتشكل الأجر من الطين الموضوع في حفرة مليئة بالمياه أين يتم عجنها بالأرجل ؛ وتهرس في بعض الأحيان بإضافة لها كمية من القش وهذا ما يعرف بالدهون النباتية ؛ وفي بعض الأحيان تستعمل دهون مائية ونعني بها الرمل او الحجارة الصغيرة.

كما يعدُّ الآجر أقدم مادة صناعية اخترعها الإنسان واستعملها في بناياته باعتبارها سهلة التحضير وصلبة التماسك وخفيفة الوزن ومقاومة للحرارة ؛ وهي تأخذ شكلين المستطيل والمربع (23) وكذا المثلث.

لقد أطلق الرومان على الأجر المحروق "SESTAE" وهو الذي يحرق في درجة عالية ؛ وهو الأكثر استعمالا في الحمامات لميزة حفضه للحرارة ؛ يأخذ اللون الأحمر الفاتح نجده في القاعة {جِ} كما نجده في دعامات النظام التحتي. (**الصورة رقم** (**13**).




الصورة رقم:13

4-2- تقنيات البناء:

4-2- 1 - تقنية الحجارة الكبيرة: وهي التقنية التي نجد فيها الحجارة المصقولة ؛ كبيرة الحجم متواضعة ، الواحدة تلوى الأخرى بدون أي رابط أو بدون الملاط ؛ وهكذا إستغل ثقل الحجارة كعنصر التماسك كما نلاحظه في القاعة الأولى {أ} والقاعة {بَ}

والجدار الرابط بين القاعة{بَ}والقاعة {جِ} تتراوح مقاساتها ما بين (0,5×0,5× 1,00 م) متر. (**الصورة رقم 9**).

4-2- 2- تقنية الحجارة غير المنتظمة (OPUS INCERTUM).

تسمى تقنية ركم الدبش وفيه تستعمل الحجارة الصغيرة غير المنحوتة وغير المنتظمة حيث تربط مع بعضها البعض بالملاط كما هو ملاحظ في القاعة {ك}. وتكون الحجارة فيه متموضعة على واجهاتها الخارجية وهي ما يطلق عليها "قشرة" أو(OPUS CAEMENTICUM) التي ترتبط بالملاط غير معالج، وأحيانا نجدها معالجة في جوانبه أي؛ موضوعة على شكل طبقات مرتبة.

و قد عرفت هذه التقنية في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد في عهد (سيلا) وهي غير مكلفة ؛ (**الصورة رقم 12**).

4-3-تقنية الحجارة الصغيرة (الكمنتيكيوم):

وهي عبارة عن حجارة مكسرة او أجزاء من الحجارة المكسرة مع الملاط وتوضع في قوالب وهكذا يسمح بربح الوقت كما هو ملاحظ في جدران الاحواض [24].

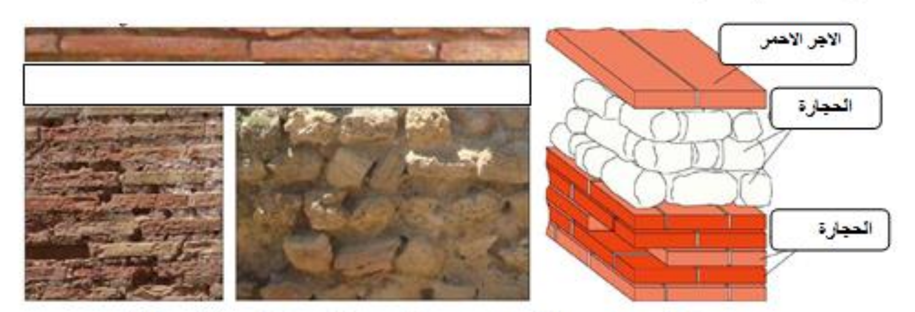
4- 4-التقنية المختلطة: (OPUS MIXTUM).

و من مزايا هذه التقنية مقاومة الرطوبة والأمطار والرياح وخاصة أن هذه الحمامات بنيت بالقرب من البحر.

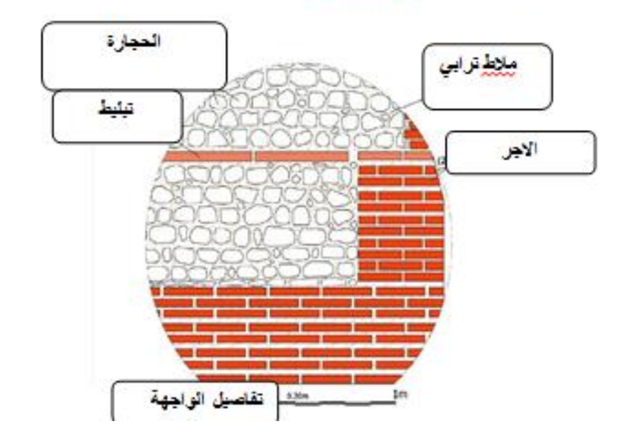
تكمن هذه التقنية في خليط من مواد عديدة كالآجر و الدبش ، وضعت في شكل صفوف من ركم الدبش تليها صفوف أخرى من الآجر أو العكس ؛ وهو ما يظهر تقريبا في كل جدران الغرف مما يعطي منظرا جمالياً.

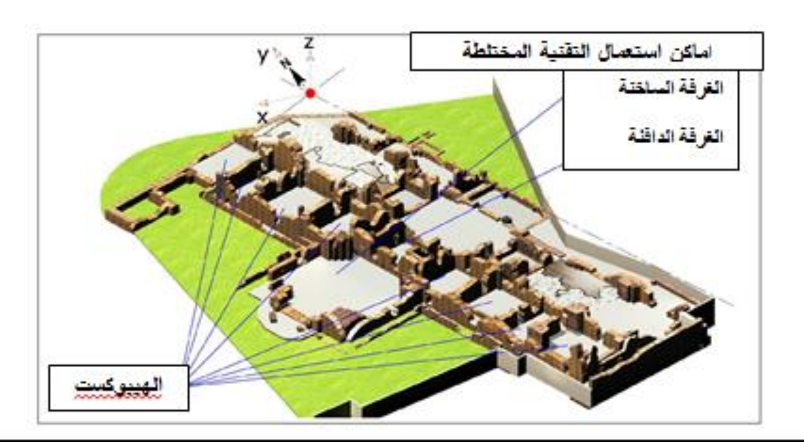
كما يلعب الملاط المضاف لربط هذه المواد عنصر الصلابة والمتانة ؛ ولقد أرجعت هذه التقنية الى حوالي القرن الثاني قبل الميلاد او آواخر القرن الثالث قبل الميلاد وهي معاصرة لتقنية RITRICULATUM)

(المخطط رقم 3 .4).



مخطط رقم:03 مخطط توضحي مع الصور لاستعمال التقنية المختلطة





المخطط رقم :04 مخطط توضحي لمقطع افقي مع مجسم لمكان استعمال التقنية الخلط

4-5- تقنية البناء بالأجر: (OPUS TESTACEUM)

تختص هذه التقنية فقط باستعمال الآجر المحروق الذي يربط بواسطة الملاط وهو أيضا عازل للحرارة مما يسمح بالحفاظ عليها ومقاوم للرطوبة والعوامل الطبيعية الأخرى.

يتميز الآجر ايضًا بخفة وزنه مما يسهل عملية التلبيس كونه يسهل لنا الحصول على سطح أملس مما

يسمح لنا ايضا بكسوته بالرخام.

وتظهر هذه التقنية في الغرفة الدافئة و الساخنة وفي أفران الحمام ؛ اين استعمل الملاط على ثلاثة طبقات تنتهي إما برسومات او خطوط بهدف إعطاء المبنى طابعا جماليا سواء من حيث الشكل او اللون .و يستخدم بمختلف مقاساته(الصورة رقم:13) .

كما تعمل هذه التقنية على المحافظة على الحرارة وتسهيل عملية انتقالها بين القاعات.

صورة رقم :



4-6- تقنية تبليط الأرضيات:

حتما ان أرضيات هذه الحمامات كانت مبلطة إما بالحجارة او بالرخام او بلأجر ؛ ورغم ان هذه الحمامات اليوم لا يظهر فيها التبليط نظرًا لتعرضها لعوامل التلف المختلفة ؛ الا انه يمكن التكهن بأنها كانت مبلطة بالحجارة المصقولة بأشكال مستطيلة او مربعة. اما الشيء الأكيد انها استعملت الأرضيات الفسيفسائية كما تدل عليه مكعبات الفسيفسائية الباقية.

4-7- ا الزخرفية:

4-7-1- الفسيفساء:

استعمل الرومان الفسيفساء في الجانب الزخرفي خاصة في الحمامات ؛ وهي عبارة عن قطع صغيرة يطلق عليها اسم (TESSELLES) كما هي أيضا تقنية(OPUS-TESSELLATUM)في البناء وهي تستعمل خاصة في تغطية الأرضيات.

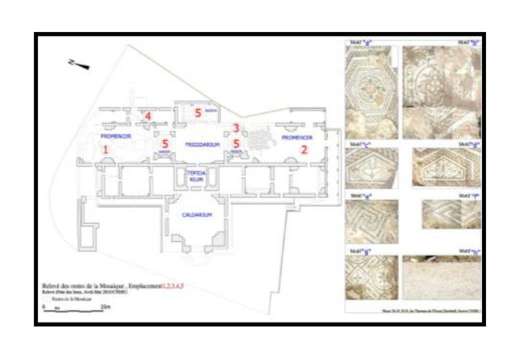
وفي الحمامات الغربية وجدت في المسبح الكبير المتواجد بالقرب من الغرفة الباردة؛ وغرف اخرى سيتم ذكرها لاحقا.

- **الجانب التصويري** : اما الجانب التصويري فهي عبارة عن لوحات فسيفسائية بأشكال هندسية وخطوط وأشكال حلزونية.
- **المسبح الكبير{اَ} والحوضين {بَ.حَ}**: كانا مبلطين بفسيفساء خشنة مع جدران ملبسة بالرخام.

وقد ذكرGSELLبأنه كانت هناك مشكوات تحمل صور لنساء ويصف لباسهن بذي ثنيات كما ذكر ايضا وجود تماثيل للآلهة {و سكولاب ؛ مركور ؛باخوس} وغيرهم [(25)].

▪ **القاعتان {د .هـ}**: نلاحظ تبليطهما بفسيفساء هندسية بحيث تتناظر فيها الأشكال ونلاحظ وجود الشكل السداسي الزوايا وهي متداخل فيما بينها تتخللها أشكال حلزونية وخطوط منكسرة ؛ وفي مركز هذه الأشكال نلاحظ دوائر متداخلة هي الآخرى مع بعضها . (مخطط رقم:05).

▪



مخطط رقم : 05

تبليط القاعات

الخاتمـة:

من خلال هذه الدراسة الوصفية المعمارية الأثرية لهذه الحمامات الغربية و التي تعدُّ من اكبر الحمامات العمومية في العالم الروماني في شمال إفريقيا حاولنا الوقوف على حالتها الحالية و التي أمدتنا بحقائق جد هامة عن الحياة اليومية والسياسية التي كانت تلعبه هذه الحمامات ؛ نظرا لكل هذه الشاسعة والأناقة ناهيك عن كل تلك العناصر المعمارية و التقنيات المستخدمة ؛ فهي توحي بتطور جد هام حتى وصل المعماري الروماني الى تجسيد أفكاره التي تخدم الغرض المنوط بهذه المعالم خاصة من حيث التخطيط ذات التركيب التناظري و المتناغم تماما مع وحدات الحمام سواء الوظيفية فيها او المنتزهات ذات برستيج يرسم الرقي و مدى الاستقرار الاجتماعي و السياسي الذي عرفته المدينة أواخر القرن الثاني و بداية القرن الثالث للميلادي.

اما العناصر الأساسية المحورية لهذا المعلم هي الغرف الثلاثة (الباردة؛الدافئة؛الساخنة) والتي تجمع حولها كل تلك السلسلة المتناغمة من الغرف والتي يلج اليها عبر مداخل مدروسة.

كما يشكل نظام التسخين الذي عرفت به الحمامات الرومانية والمتمثل في الهيبوكست ؛ الاختراع الروماني الذي أثبت ناجعته كعنصر أساسي في تزويد هذا المعلم بالحرارة اللازمة و المدروسة النابعة من مواقد مهيأة تحت الحمام.

كما أعطيت أهمية للناحية الجمالية لهذه الحمامات أين زخرفت باستعمال الفسيفساء في تبليط الغرف؛ وتلبيس الجدران الداخلية للغرف بالرخام على اختلاف ألوانه؛ لإعطاء الهيبة والراحة للمستحمين.

ويبقى هذا المعلم شاهدا على عظمة وأهمية المدينة القيصرية شرشال قديما؛ولأجل هذا يستوجب علينا ان نستدرك هذا المعلم لإنقاذه من الحالة السيئة التي هو عليها؛والى غاية اليوم لم يحظى لا بعملية الترميم ولا بإعادة تصور السقف المجهول.

اما الجزء الشرقي الذي زحفت عليه المباني فلا يمكن استرجاعه.

و تبقى هذه الدراسة جد قليلة و متواضعة ، حيث حاولنا الإلمام ببعض المعلومات التي تخص الحمامات الرومانية ، و تكون إنارة التي يلجأ اليها الطالب في علم الآثار من اجل الخوض في مثل هذه الدراسات.

الهوامش:

1. حسن (صديق)،**دليل تيبازة**، دار النشر البيازينن، الجزائر 2008، ص5.
2. Gsell (S.), Promenade archéologique aux environs d'Alger, *les belles lettres,* Paris,1926, pp7-8.
3. BOUCHENNAKI(M.), Cherchell Dans la revue Eldjezaer n16,1988,p84.
4. Leveau (PH.), Caesaréa de Maurétanie, , Paris 1980, pp 11-12.
5. Gsell (S), Op-Cit, pp 42-43.

6. **كاليجولا** :امبراطور روماني وهو أشهر طاغية في التاريخ الإنساني المعروف بوحشيته وجنونه وساديته وله صلة قرابة من ناحية الام للامبراطور الأشهر نيرون الذي احرق روما واسم كاليجولا الحقيقي هو (جايوس) وتولي حكم روما منذ العام 37 الي 41 ميلاديا ولد كاليجولا في (انتيوم) وتربي ونشا في بيت ملكي وتمت تربيته بين العسكر اعدادا له للحكم واطلقوا عليه هذا الاسم "كاليجولا" وهو معناه الحذاء الروماني سخرية منه في صغره وظل يحمل الاسم حتي مصرعه.

7. THEBERT (Y.)، Thermes Romaines d'Afriques du Nord et leur Contexte Méditerranéen in EFR، Rome،2003 p48.
8. De Césarée à Cherchell،dans(‘école ‘Militaire d'Infanterie Cherche) Cherchell 1961، p 72.
9. GSELL (S.),Guide Archéologique aux Environs d'Alger, Paris1926, p39.
10. LAZINE (A.),Architecture Romane de l'Afrique, Tunis1961, pp18-19.
11. GSELL (S.)، les Monument Antiques de l'Algérie، T om1,1901، P 212.
12. TEISSIER ROLLAND(J.)، Des Bains et Thermes chez les Anciens «des bains romains de Nîmes» ،Typographie Balivet et Fabre، Nîmes،1850، p8.
13. DOUEL(M.) , Septe Villes Mortes, Paris ,1917, p 63.
14. GSELL(S.) Monument Antique..،Op-cit.p 113.
15. I bId, P 114.
16. QUATREMERE DE QUINCY, Dictionnaire Historique d'Architecture, Tome Premier, , Paris,1832, p144.
17. GSELL(S.), CHERCHELL ,op-cit, pp13-14.
18. GSEL(S.), les Monument ,op-cit,p215.
19. CHOISY(A.)، VITRUVE، Tome I Analyse، Imprimerie-Libraire Lahure ، Paris1909, p191.
20. GSELL(S.) les Monument ،Op. Cit. p 115.
21. GSELL(ST.)les Monuments.، Op.Cit، P113.

22. CAGNAT (R.)، ET CHAPOT (U.)،Manuel d'Archéologie،Rome، T1،Paris1907, p12.

23. CAGNAT (R.)، ET CHAPOT (U.)،Manuel ..Op.cit. p 99.

24. ADAM (J.P.) La Construction Romaine, Matériaux Et Technique, Paris, 1984 ,Op.cit. p252

25. Gsell(ST.)، Guide Archéologique des Environs، Paris 1926,P45.